

بسم الله الرحمن الرحيم

واضرب لهم مثلاً - الحلقة : 12 - أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض

06-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .
أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ نحن معاً في مستهل حلقة جديدة من برنامجنا " واضرب لهم مثلاً " ، نبحر فيها مع الأمثال التي توضح الحقائق ، وتبينها للناس .
رحبوا معي بفضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .
الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته بالأخ الكريم .

الدكتور بلال :

أكرمكم الله سيدي .

الآية اليوم التي تطلب مثلاً هي قوله تعالى في سورة الإسراء :

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء : 21]

كيف نفهم هذا التفضيل في الدنيا ثم في الآخرة ؟

الدكتور راتب :

في حياتنا الدنيا يوجد معلم ابتدائي ، والتعليم مهنة راقية جداً أنا لا أقيّمها ، هذه صنعة الأنبياء .

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث في مسنده وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

يوجد معلم ابتدائي .

الدكتور بلال :

لكن درجات الدنيا .

الدكتور راتب :

درجة أولى ، وهناك معلم ثانوي ، وأستاذ جامعي ، وعميد كلية ، ورئيس جامعة ، بحقل التعليم يوجد معلم ، ورئيس جامعة ، كل هؤلاء يعملون في العلم ، لكن هذه الحظوظ موزعة توزيعاً ، أستاذ جامعة يدير جامعة ، فيها عشرون كلية ، يعين مدرسين ، له أعمال كبيرة جداً ، أحد أقطاب البلد رئيس الجامعة، وهناك معلم عمله مشرف لكن محدود ، ثلاثون طالباً .

الدكتور بلال :

معلم صف .

الدكتور راتب :

رئيس الجامعة بمئة ألف طالب مثلاً ، فهناك درجات :

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء : 21]

يوجد شرطي ، ومساعد ، وملازم ، ونقيب ، وعقيد ، وعميد ، وفريق .

الدكتور بلال :

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء : 21]

الدكتور راتب :

المراتب درجات ، ترى بالمحاكم يوجد محضر ، وكاتب ، وقاض ، بالطب يوجد ممرض ، وطبيب جراح ، وطبيب عادي غير جراح ، وطبيب جراح ، وهناك عامل ، ومهندس ، و صاحب مشروع ، أي حياتنا كلها درجات ، والله يقول :

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء : 21]

الدكتور بلال :

هذه في الدنيا .

لكل إنسان درجة عند الله عز وجل :

الدكتور راتب :

هذه في الدنيا ، أما الآخرة يا لطيف ما أدق الآية !

﴿ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء : 21]

أنا أقول كلمة : نحن بأي بلد عادي عندنا ثلاثون درجة ، أي عشر درجات ، وكل مرتبة ثلاث درجات ، عاشرة الثالثة ، عاشرة ثانية ، عاشرة أولى ، هكذا إلى الأولى أولى .

الدكتور بلال :

يختلف الراتب وتختلف المكانة .

الدكتور راتب :

عندك مثلاً مليوناً موظف كلهم يدخلون بثلاثين حقلاً .

الدكتور بلال :

مكانته ، وراتبه .

الدكتور راتب :

مكانته وراتبه ، أنا اجتهادي المتواضع إذا كان بالأرض الآن ثمانية مليارات الله عنده ثمانية مليارات درجة .

الدكتور بلال :

كل إنسان بمكانة .

الدكتور راتب :

أبداً ، ثمانية مليارات درجة ، مثلاً هؤلاء البشر جميعاً هدفهم السلامة ، والسعادة ، والاستمرار ، فكل واحد له درجة عند الله عز وجل .

الدكتور بلال :

بقدر صدقه .

الدكتور راتب :

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء : 21]

في الدنيا ، دقق :

﴿ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء : 21]

فإنما أن تكون في أعلى عليين ، في جنة ، في جنة القرب من الله ، في :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة : 22 - 23]

اختلف الوضع ، الجنة درجات ، فأنا أقول : درجات بعدد المخلوقات .

الدكتور بلال :

والنار دركات والعياذ بالله .

الدكتور راتب :

درجات نحو الأعلى ، دركات نحو الأسفل .

الدكتور بلال :

سيدي الناس تواضعوا في الدنيا على قيم للتفاضل بين البشر ، هذا بماله ، هذا بعلمه ، هذا بخبرته ، هذا بمساحة بيته ، هذا بسيارته مع الأسف أحياناً ، أي تواضع الناس على قيم ، ما القيم التي اعتمدها خالق البشر ؟

القيم التي اعتمدها خالق البشر للتمييز بين الناس :

الدكتور راتب :

المال ؛ الغني ينتهي ماله بالموت ، والقوي بالموت ، والصحيح بالموت ، والمريض بالموت ، والعاجز بالموت ، والسليم بالموت ، الموت ينهي كل شيء .

الدكتور بلال :

إذاً لا قيمة .

الدكتور راتب :

ينهي قوة القوي ، وضعف الضعيف ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، وغنى الغني، وفقير الفقير ، وذكاء الذكي ، وغباء الغبي ، ينهي كل شيء ، إلا أن الآخرة فيها كل شيء، فالبطولة أن أحجز مكاناً في الآخرة .

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[سورة القمر : 55]

هناك الدرجة .

الدكتور بلال :

ما القيم سيدي في الآخرة هل هي العلم أم العمل ؟

الدكتور راتب :

العلم والعمل .

الدكتور بلال :

هما المقياسان .

الدكتور راتب :

فقط ، تقييم آخر ، الإنسان يقيّم بعلمه ، وبمقدار ما عمل منه ، علمه وما عمل منه ، مقياسان .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة البقرة : 25]

إلا أنه أحياناً تأتي الاستقامة منفردة ، والعمل الصالح يأتي منفرداً ، فإذا اجتمعا تفرقا، وقد تأتي وحدها الاستقامة ، وإذا افترقا اجتمعا ، إن قلت : الاستقامة ، تعني العمل الصالح معها ، وإن قلت : العمل الصالح تعني الاستقامة ، إذا اجتمعنا تفرقتا ، وإن تفرقتا اجتمعنا .

الدكتور بلال :

إذاً :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾

[سورة الحجرات : 13]

قيم الخالق مختلفة عن قيم البشر .

الدكتور راتب :

للتقريب : سلمان فارسي ، قال النبي الكريم :

((سلمان منا أهل البيت))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

منا ، والله شيء جميل ! صهيب رومي .

((نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه))

بلال حبشي ، الصحابة كانوا إذا قالوا : الصديق ! هو سيدنا وأعتق سيدنا أي بلال ، أبو لهب قرشي .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

[سورة المسد : 1]

هذا الدين .

الدكتور بلال :

التفاضل عند الله بالتقوى .

الدكتور راتب :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾

[سورة الحجرات : 13]

الدكتور بلال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقرى أو تميم

أعود إلى كلمة :

﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا ﴾

[سورة الإسراء : 21]

فضل الله ، لكن هل التفضيل يقتضي الأفضلية ؟ أي هل الذي فضل بشيء هو الأفضل عند الله ؟

السكينة لأصفياء الله المؤمنين فقط :

الدكتور راتب :

إذا شخص يمشي على قدميه ، وآخر عاجز أعطياه كرسيًا ، هذا مفضل على هذا لكن أيهما أفضل ؟
الصحيح .

الدكتور بلال :

لا علاقة للتفضيل بالأفضلية ، قد يعطي الله الذكاء ، والمال ، والجاه لإنسان لا يحبه .

الدكتور راتب :

إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفياه المؤمنين ، السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدائها ولو ملكت كل شيء .

الدكتور بلال :

إذاً هذه الدرجات التي وزعت في الدنيا هل وزعت ابتلاء أم جزاء ؟

توزيع الدرجات في الدنيا توزيع ابتلاء :

الدكتور راتب :

وزعت ابتلاء ، عفواً ؛ اثنان عاشا ستين عاماً بالضبط ، واحد امتحن بالفقر والثاني بالغنى ، الذي امتحن بالفقر نجح في هذا الامتحان ، صبر ، وتجمل ، وتعفف ، ولم يشتك لأحد ، امتحن بالفقر فنجح ، والثاني امتحن بالغنى فرضاً ورسب ، استعلى ، وتكبر ، واحتقر من دونه ، إلى آخره ، ماتا معاً ، عاشا ستين سنة كل واحد ، الذي امتحن بالفقر ونجح استحق الجنة إلى أبد الأبد ، والذي امتحن بالغنى ورسب استحق النار ، فالعبرة بالنهاية ، العبرة بنهاية المطاف ، العبرة فيما بعد الموت ، لذلك الناجي حقيقة بعد الموت .

الدكتور بلال :

الغنى والفقر بعد العرض على الله .

الدكتور راتب :

لا يسمى الغني غنياً في الدنيا ، ولا الفقير فقيراً ، فإن الغنى والفقر بعد العرض على الله .

الدكتور بلال :

إذاً هذه الدرجات التي فضل بها الناس وزعت توزيع ابتلاء في الدنيا .

الدكتور راتب :

عفواً ؛ كلمة قد تكون غير مقبولة : الغني ابتلي بالغنى ، ينجح أم يرسب ؟ يتكبر أم يتواضع ؟ يستأثر بالمال أم يعطي المال ؟ والفقير ابتلي بالفقر ، يضجر ويكفر أم يصبر ويحتسب ويتعفف ؟ والقوي بالقوة، والضعيف بالضعف ، والوسيم بالوسامة ، والأقل وسامة بالأقل ، أيضاً امتحن .

الدكتور بلال :

والصحيح بالصحة ، والمريض بالمرض .

الدكتور راتب :

أنت ممتحن فيما أعطيت ، وفيما زوي عنك ، يأتي الدعاء النبوي :

((اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، وَمَا رَزَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي]

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

إذا العبرة في تفضيلات الآخرة سيدي .

﴿ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء : 21]

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبق لي في ختام هذا اللقاء وقد سعدت فيه بصحبكم ، وسعدت قبلاً بصحبة شيخنا جزاه الله عنا كل خير ، أشكر لكم حسن المتابعة سائلاً المولى جلّ جلاله أن نلتقيكم دائماً وأنتم بخير حال، وأفضل حال ، إلى الملتقى أستودعكم الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته